أهل النويري
بيليه مرّ من هنا

راجانا حمية

«الغراب الأسمر» مستاء. نادراً ما يصل هذا الرجل إلى هذا المستوى من الشعور، لكن، إن وصل، ففي الأمر كرة قدم. في شارع الأوزاعي في منطقة النويري، الكل يعرف أن الأسمر ـ تيمناً بسمرة بيليه البرازيلي ـ لا يغضب إلا مرة كل أربع سنوات… عندما تبدأ بطولة كأس العالم في كرة القدم. ففي الأيام العادية، هو «ابن العيتاني اللذيذ الرايق»، كما يسميه رفاق الشارع. أما في أيام المونديال، فيتغيّر مزاج «العيتاني». يصبح أكثر حدة في التعاطي مع مشجعي الفرق المنافسة لمنتخب البرازيل الذي يشجعه. المنتخب «الأبدي منذ الستينيات»، يقول. وما يزعجه هذه الأيام أن أحداً ما في حي الأوزاعي «شوّه المنظر، وضع ليلاً علماً ألمانياً كبيراً بين أعلام البرازيل». وهذه قد تحدث أزمة هناك، ليس للغراب الأسمر، محمد العيتاني وحده، بل لغالبية السكان، لكون الحي معروفا منذ التسعينيات بولائه للمنتخب البرازيلي، حيث يبدأ الكرنفال قبل شهر من انطلاق مباريات كأس العالم. يزيّن مدخل الشارع بعلمين كبيرين و«تشبّك» الاعلام الصغيرة من شرفة إلى شرفة. هكذا، حتى آخر مبنى هناك. لا تعود الأعلام الأخرى، الصغيرة نسبياً، مرئية. تصبح أكسسواراً لا قيمة له. حتى علم ألمانيا العملاق الذي شوّه المنظر، في رأي الغراب، لا يغيّر في الأمر شيئاً. فهناك، في الحي المعروف بانتمائه منذ التسعينيات إلى منتخب البرازيل صار صعباً على الكثير تغيير هويته. وقليلون يعرفون الحي باسمه الحقيقي في مثل هذه الأيام. لا يعود الأوزاعي اسماً. مع أول علم برازيلي يعلّق في الشارع، يصبح اسمه «حي القدمين الذهبيتين» بين ساكنيه. أما بالنسبة إلى العابرين، فهو حي البرازيل.

في الستينيات، بدأت أولى ملامح «التعصب البرازيلي». يومها، كان «نجم كرة القدم البرازيلي بيليه في أيام عزّه»، يقول العيتاني، الذي كان في السادسة عشرة في ذلك الحين. أحبه الفقراء هناك. أحبوه بالأبيض والأسود. كبروا شيئاً فشيئاً، فنقل «الوالد منا حب البرازيل لابنه»، يتابع. وصار الكل برازيلي. أخيراً، صار هناك خليط من المشجعين. في أول الأمر، كان «العرق برازيليا صافيا»، أما مع هجرة الكثير من أبناء الحي إلى ألمانيا، فبدأ التنافس. أصبح هناك جمهور ألماني، وإن كان الدعم على الأرض ليس ظاهراً على نحو كافٍ. يقول سكان الحي - البرازيليون منهم - إن «المشجعين للمنتخب الألماني لهم مصلحة في الأمر، فلحم أكتافهم من هناك، وعندما تنقطع هذه اللقمة لن يجدوا إلا البرازيل»، يقول عماد الزين، الملقب في الشارع بأبو وديع.

هناك، أمام مؤسسة سوبرة لتصليح الدراجات النارية، يجتمع شباب الحي عند الخامسة عصراً. في مثل هذه الأيام، لا تعود «المصطبة» الصغيرة أمام المؤسسة تتسع لهم. فيجلس بعضهم على الأرائك، فيما آخرون يفترشون الأرض. يجتمعون «ألمان وبرازيليون وإيطاليون وفرنسي واحد». لا يكلّون من الحديث عن نجومهم، مع «التزريك». ودائماً في الجلسات، هناك الغراب الأسمر الذي يملك عربة للقهوة والعصير في منطقة الروشة منذ التسعينيات، وهو الذي «شكّ» مراراً عن صخرة الروشة. يعني «رياضي منذ الصغر». يشجّع هذا الرجل البرازيل، لكنه لا يعرف من المنتخب سوى بيليه، اللاعب البرازيلي الأشهر في فترة الستينيات والسبعينات. أما البقية؟ «ففي القلب»، يقول، مشيراً إلى العلم الذي علّقه عند خصره. هو مشجّع بالفطرة، من دون عناء حفظ الأسماء. لا يهم. المهم أن تفوز البرازيل، وإن لم تفز، فقد اعتاد مشجعوها التحالف مع مشجعي «الـ31 منتخبا ضد ألمانيا». يحشره مشجّع المنتخب الألماني بالقول «بلا مجاملة، أعطني عشرة أسماء للاعبين برازيليين». يرتبك الغراب، معيداً جوابه «مش ضروري، فتاح قلبي بتشوفهن كلهن من بيليه وانت جاي». ويستطرد بالسؤال «عدّ عشرة ألمان انت». يبدأ الشاب بالعدّ، فلا يتوقف. عشرة. عشرون من سنوات سابقة. لا يتركه الغراب يكمل، فيتوجه إلى البقية «ما في ما يعدّن، بيقطعوا عنو المعاش». يقاطعه مشجّع للمنتخب الألماني بالقول «أنا قادر على العد أيضاً»، فيجيبه بسؤال «ليش أبوك مين هو؟»، في إشارة إلى وجود الأخير في ألمانيا منذ عشرين عاماً.

> غالبية مشجعي المنتخب الإيطالي من الإناث لأنهم «شباب حلوين»

هكذا، تحتدم «المعركة» بين مشجعي المنتخبين. فيكمل عماد الزين، مشجع المنتخب البرازيلي عن الأسمر «ما الذي يغريكم في الألمان، خسارتهم على أرضهم منذ 14 عاماً أمام المنتخب الأورغواياني؟». يلاقيه «الكومبارس» بالصراخ: «يا ساتر يا ستار والبرازيل متل النار». لا يعجب مشجعو المنتخب الآخر ما يجري، فيشير أحدهم إلى الصارخين بالقول «مضروبين».

تحتدم المواجهة أكثر. فيطلب أحد مشجعي المنتخب الألماني من مشجعي المنتخب الآخر رفع أيديهم لإحصائهم، وهو العارف بأن الموجودون في الجلسة خمسة فقط، لكنه، يريد أن يثبت أن ما يجري هناك «بهورة، وإن كان الحي قد غلب عليه اللون الأخضر». ثمة إثباتات أخرى. يسأل «ماذا لو أوقفنا المارة وسألنا أي منتخب يشجعون؟». يوافق الكل على الأمر.

الأول «برازيل». يعلو صراخ مشجعي المنتخب. الثاني برازيل أيضاً. الثالث ألماني. الرابع أيضاً والخامس. غلب الألمان. السادس «إنكليزي». يسود الصمت، فلا أحد في الحي يشجع هذا المنتخب. من دون أن يطلب منه أحد التوضيح يقول «أحلى طابة بالعالم الطابة الإنكليزية، واحلى دوري الدوري الإنكليزي أيضاً». والبرازيل؟ «مغرورون». والألمان؟ «أنانيون في اللعب». والإيطاليون؟ «ممحونون كروياً». والفرنسيون؟ «كان عندهم زين الدين زيدان». هذا الرجل هو محمد عياد، شقيق عصام عيّاد، المعلّق الرياضي على أيام النهضة والنجمة. هو مشجّع دائم للإنكليز. أبهره بوبي مور ومن ثم دييغو مارادونا ويوهان كرويف في المنتخب الهولندي. أما بيليه، فكان «لعّيب منيح، ماشي حالو بالفوتبول». برأيه، ثمة لاعبون لبنانيون «أشهل» من بيليه، منهم عدنان الشرقي في الأنصار، ومار ديك في الهومنمن، وجوزف أبو ناصر في فريق النهضة، قبل أن يصبح اسمه فريق الأنصار».

أما مشجعو المنتخب الإيطالي، فمعظمهم من الإناث هناك. يعلّق البعض على هذه الميزة بالقول «لأنهم شباب حلوين». أما الشباب هناك، فيستهزئون بالمنتخب بأغنية كتبوها هم لمناسبة المونديال «يا إيطالي ويا تعبان هلق جايي تحكيني، عملت بطل من زمان على إيام موسوليني».

الفرنسيون أيتام في الحي. واحد فقط يشجّع هذا المنتخب. مع ذلك، لا يعرف سوى اللاعب زين الدين زيدان. وعلى هذا الأساس، يقول البعض هناك إن هذا الرجل «كانت آخر مباراة حضرها بالمونديال عام 1998»!

مع ذلك، الكل يحبّ كرة القدم هناك، بغض النظر إن كانوا يحفظون أسماء لاعبيهم المفضلين أم لا. والدليل؟ خروج لاعبين كثر من هذا الشارع منهم نبيل سعدو، الذي يلعب حالياً مع فريق العهد، ومحمد الناطور سابقاً ومحمد الديك. وسيخرج آخرون. أما عالمياً، فالولاء دائماً وأبداً لمنتخب كرة القدم البرازيلي. ودائماً بالفطرة.

(مروان طحطح)

مونديال طريق الجديدة: الرزق على الله... وعلى ميسي!

زياد عيتاني

أخرج أبو هيثم كراسي وطاولات المقهى الصغير الذي يملكه إلى الرصيف. الرجل الستيني، كغيره من أصحاب المقاهي الممتدة على طول خط الجامعة العربية، يعيد ترتيب «باب الرزق»، بما يتناسب مع سهرات المونديال. كذلك، خرج «باشو» من مقهى معلّمه ليلصق جدول برنامج مباريات المونديال المقبل على واجهة المحل. الإعلان المتواضع هذا، والمتكرر عند اغلب المقاهي هناك، هو بمثابة «الحيلة والفتيلة» لجذب الزبائن صيفاً. انتهى موسم الدراسة في كلية الهندسة، وأتى المونديال لينقذ الصيف، حين يعاني أغلب أصحاب تلك المشاريع المتواضعة من محلات الوجبات السريعة و«القهاوي» من شح الرزق وتراكم الديون. وهي ديون لا يفكها الا موسم دراسي آخر في جامعة بيروت العربيّة. الصبي «باشو» يعرف الأمور جيداً، وقد لصق أسعار «الأراغيل» و«المشاريب»، أمام برنامج كأس العالم. هكذا، على طول الخط الممتد من محيط الجامعة العربية وحتى الكولا، ستختلط «الأراغيل» بأعلام العالم. ميسي ونيمار وأوزيل وانييستا وغيرهم من كبار اللاعبين، حضروا بالفعل إلى طريق الجديدة. تتوزع صورهم بين المعسل والنكهة وتغرق لقطاتهم خلف إبريق للشاي وركاوي القهوة.

لا يتوقف الأمر على المقاهي. يغطي علم ألماني ضخم مبنىً كبيراً في شارع حمد. الشارع «الأرستقراطي» في المنطقة الشعبية، فرضت عليه الأكثرية ألوان الأسود والأحمر والأصفر. أغلب سكان الشارع يشجعون المنتخب الألماني، على ما يبدو، فيما تسجّل بعض «الخروقات» والمحاولات من مشجعي ايطاليا والبرازيل للحضور في شارح حمد. عملياً، يصل المد البرازيلي إلى أقاصي الأحياء الفقيرة كالبرجاوي وأبو سهل. ومنذ عام 2008 تشهد شوارع السبيل والرواس وأبو سهل مداً اسبانياً، يواجهه عشاق «السيليساو» بضراوة. فالجمهور «الاسباني»، جمهور ناشئ وأغلبيّة أفراده من الشباب، لا يتعدى عمر الواحد منهم 22 سنة. جاءت الموجة الاسبانية عقب تألق برشلونة والمنتخب الاسباني وظهور الثنائي الأسطوري انييستا ـ تشافي. الثنائي الذي غزت صوره حقائب الدراسة وأغلفة الدفاتر. لكن عشاق البرازيل في طريق الجديدة دافعوا عن تاريخهم ضدّ تلك الموجة، متحلّين بنصائح ومواعظ من سبقهم في المنطقة بتأييد المنتخب الأصفر. الآباء الذين شاهدوا برازيل جيرزينيو وزيكو يحاولون اقناع الجيل الذي تلاهم بأن «تلك البلاد تشبهنا». يعتقدون أن حي التنك وزاروب الطمليس نسخة لبنانية عن الأحياء الفقيرة في بلاد الـ«كوبا كابانا». لكن النصيحة الأقوى أتت من «صيّاد المواهب» في ملاعب أرض جلول و الحرش «أبو محمد»، الذي يقابل كل مشجع اسباني بالقول: «يا ابني اتطلع منيح بريفالدو البرازيلي، بشكله، بتذكر كيف كانت سمرته؟ بتقول انو ضاهر من مخيم صبرا أو حي الجزار». ريفالدو، في حسابات «أبو محمد» واحد من «أبناء طريق الجديدة».

ولفرنسا حصة «مهضومة» من أهواء أهل طريق الجديدة. تتحدث الرواية «الأصلية» عن فتية في سوق عفيف الطيبي كانوا يشجعون فريق مانشستر يونايتد تزامناً مع صعود اللاعب الفرنسي، اريك كانتونا، أوائل التسعينات. وتقول الأسطورة، أيضاً، إن تلك الفترة هي الفترة التي لمع فيها نجم الرئيس الراحل رفيق الحريري. كان الجميع يتحدث عن علاقته المميزة بفرنسا. كانا سببين كافيين ليشهد شارع الطيبي ولادة رابطة لتشجيع المنتخب الفرنسي. عام 1998، وبعد صافرة النهاية في مباراة الختام، جالت السيارات في طريق الجديدة رافعة صور زين الدين زيدان، والرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك، إلى جانب صور… الرئيس الحريري! بدا الأمر للسكان آنذاك وكأن «المنطقة» فازت بالكأس.

طريق الجديدة في المونديال هي نفسها الشياح وعائشة بكار وراس الدكوانة. البيوت المتلاصقة أحجاراً وهموماً معيشيّة. غداً ستصدح الهتافات والشتائم على الفرص الضائعة. ولشهر كامل، ستضع مآسي التهميش وانقطاع المياه وأعطال الكهرباء جانباً. ميسي ورفاقه في المونديال سيكونون «زعماء» طريق الجديدة، وسيُنسون المنطقة مشكلة البطالة المتفاقمة بين الشبان. سينام أغلب هؤلاء نهاراً، ثم يصحون ليلاً على «كركرة» نراجيلهم، ويتسمرون خلف الشاشات. في حزيران وتموز المقبلين، وحدها أعلام المنتخبات الكبرى سترفرف في «أحياء الطيبين».